

أسباب حصول الفتن وسبيل النجاة منها

لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد أشرف
الأنبياء وأشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد:

فإن المتأمل في حال أمة الإسلام وما آلوا إليه من تفرق
وضعف وما يجري عليهم من مصائب وفتن ليتألم أشد الألم، لكن
المؤمن الحق لا ييأس من روح الله ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا
يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾^(١) فواجب علينا أن نبحث
عن الأسباب التي أوصلتنا لهذه الحالة ومن ثم نتلمس طرق العلاج
على ضوء الكتاب والسنة، فإن الله سبحانه حكيم عليم ربط
الأسباب بمسبباتها وهو سبحانه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس
أنفسهم يظلمون، هذا وإن أخطر ما بليت به أمة من الأمم أن تؤتى

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧ .

من داخلها من أبنائها وهذا من أخطر الأدواء وأعظم المصائب يقول الله عز وجل مهدياً ومتوعداً ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۚ أُنْظِرْ كَيْفَ نُصْرَفُ ۖ أَلَا يَتْلَوْنَ لَعْلَهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (١).

فهذا من أعظم أنواع العذاب فأعظمها أن يأتي العذاب من فوق، ثم من تحت الأرجل، ثم أن يلبس الناس شيْعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فعن جابر رضي الله عنه قال: ((لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك . قال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ ، قال: أعوذ بوجهك . ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا أهون - أو هذا أيسر -)) أخرجه البخاري .

فإذا كان هذا النوع على ما فيه من الشدة والبلاء هو أيسر نوعي العذاب الذي توعد الله به عباده فالواجب الحذر .
أيها الإخوة في الله.. إن خطر هذا النوع من العذاب يكمن في أمور :

أولاً: أنه نوع من أنواع العذاب التي تنبي عن سخط الجبار عز وجل .

(١) سورة الأنعام، الآية ٦٥ .

وثانيها: أن نبي الهدى والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم علم خطرهما واستشعرهما، ومن رحمته بأمته جعلها إحدى ثلاث دعوات دعا بهن ربه عز وجل، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي: ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)) أخرجه مسلم .

وثالثها: أن الأمة حيث تصاب من داخلها تكون مصيبتها في نفسها وعدوها منها، فإن حاربت وقاتلت فإنما يقاتل المرء أخاه، وإن سكنت وكفت سكنت على بلاء عظيم يزداد سوءاً وخطراً فهي فتنة يظل فيها الحليم حيراناً .

ومعنى أن يلبس الناس شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((الأهواء والاختلاف . وقال مجاهد: يعني ما فيهم من الاختلاف والفتن . وعنه: أنها الأهواء المتفرقة . وقال ابن زيد: الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك دماء بعضهم بعضاً ^(١) .

ولما كان التفرق والتحزب بلاء ونقمة نهى الله عباده عن القصد إليه وأمرهم بالاجتماع على الحق، فقال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ^(٢) . وأخبر أن نبيه صلى الله عليه وسلم بريء

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري [سورة الأنعام آية رقم ٢٦٥] .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣ .

من الذين فرقوا دينهم، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ فِي شَيْءٍ عَظِيمٍ ۚ ﴾^(١). وكذلك حذرنا نبينا صلى الله عليه وسلم من التفرق والتحزب والتشيع. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة)) . وفي بعض الروايات بزيادة ((كلها في النار إلا فرقة)) .

والمقصود أن التفرق عقوبة من الله عز وجل وهو أيضاً محرم على أهل الإسلام فلا يجوز لهم السعي في الافتراق والبعد عن هذا الصراط المستقيم، كما أنه سبب للفرقة والافتراق فهو سبب لحصول الاقتتال والعداوات، كل هذا إنما يحصل بسبب الجهل أو البغي والظلم، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن كثرة القتل في آخر الزمان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج - وهو القتل القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض)) . أخرجه البخاري ومسلم بنحوه .

هذا وإنه لما ظهر في زماننا بعض من حادوا عن الصراط المستقيم وخرجوا على جماعة المسلمين وشدوا عنهم ووقعت بسببهم

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٩ .

الافتتاحية _____ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

فتنة عظيمة في الأمة كان لازماً على أهل العلم أن يبينوا الحق ويدلوا الناس على صراط الله المستقيم، وهذا ما انعقد عليه عزمنا في هذه الرسالة المختصرة، سائلين الله العون والتوفيق فنعرض باختصار للأسباب الحاملة على تقحم بعض الشباب لهذه البلايا ، ثم نبين أسباب حصول المصائب والفتن في المجتمعات ، ثم نبين وسطية أهل السنة والجماعة بعرض بعض صورها وبيان استمدادها وكيفية تطبيقها والتحذير من الانحراف عنها .

فأما الأسباب التي حملت بعض من زلت بهم القدم إلى الخروج عن الجادة وسفك دماء المعصومين والاعتداء على أموالهم وترويع الآمنين، سنذكر جملة منها؛ نصيحة لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم، وحتى يكون المسلم على بصيرة فيما يأتي ويذر .

فمن ذلك: الجهل، فإن الجهل داء قاتل يردي صاحبه، وأعظم أنواعه: الجهل المركب فيسير المرء في حياته على جهل وهو لا يعلم أنه جاهل بل يظن نفسه على الحق والهدى يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ [١] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١﴾ . وهذه الآية وإن كانت في اليهود والنصارى فهي عامة بلفظها كل من عمل عملاً يظنه حسناً

(١) سورة الكهف، الآيتان ١٠٣، ١٠٤ .

وإلى الله مقرباً، وحقيقة عمله أنه سيء وهو فيه لله مسخط والعياذ بالله وهذا من الجهل بدين الله، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ ^(١).

وقد قيل:

ما يبلغ الناس من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
ومن الأسباب البغي: فقد يكون المرء عنده علم من الكتاب
والسنة، لكنه يبغي ويظلم يقول الله تعالى عمن هذه حاله: ﴿ كَانَ
النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ
إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢). ويقول الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ
بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا
حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رِئْكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ ﴾ ^(٣).

قال ابن جرير: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال:

(١) سورة فاطر، الآية ٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٣.

(٣) سورة يونس، الآية ٩٣.

قال ابن زيد: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ قال: العلم كتاب الله الذي أنزله وأمره الذي أمرهم به، وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغياً بينهم، أهل الأهواء هل اقتتلوا إلا على البغي؟ قال: والبغي وجهان: وجه النفاسة في الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها، وبغي في العلم يرى هذا جاهلاً مخطئاً ويرى نفسه مصيباً عالماً فيبغي بإصابته وعلمه على هذا المخطئ)) أهـ^(١).

فالبغي في العلم وبالعلم كلاهما من الظلم وهما من أسباب الافتتان والاعتداد بالرأي .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ((وأخبر أنهم ما تفرقوا إلا بغياً، والبغي مجاوزة الحد، كما قال ابن عمر: الكبر والحسد؛ وهذا بخلاف التفرق عن اجتهاد ليس فيه علم ولا قصد به البغي كتنازع العلماء السائغ، والبغي إما تضييع للحق وإما تعد للحد، فهو إما ترك واجب وإما فعل محرم فعلم أن موجب التفرق هو ذلك))^(٢) .

وقال في موضع آخر: ((إذ أصل السنة مبناهما على الاقتصاد والاعتدال دون البغي والاعتداء))^(٣) .

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري [سورة يونس، آية رقم ٢٩٣] .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/١) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧٠/٤) .

ومن الأسباب أيضاً: عدم التوفيق بين النصوص من الكتاب والسنة فينزع المستدل منهم بدليل يرى أنه كاف في الدلالة على مقصوده ومراده ويترك الأدلة الأخرى من الكتاب والسنة وربما تعسف الجواب عنها إبقاء لاستدلالة على حاله. وهذا من أعظم الأسباب التي أهلكت السابقين واللاحقين، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِمْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ (١).

قال أبو غالب: ((كنت بدمشق فجاء بسبعين رأساً من رؤوس الحرورية فنصبت على درج المسجد، فجاء أبو أمانة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين، ثم خرج فوقف عليهم فجعل يهريق عبرته ساعة ثم قال: ما يصنع إبليس بأهل الإسلام، ثلاث مرات، ثم قال: كلاب جهنم، ثلاث مرات ثم قال: شر قتلى قتلت تحت ظل السماء، ثلاث مرات، ثم أقبل عليّ، فقال: يا أبا غالب إنك ببلد أهويته كثيرة، هؤلاء به كثير، قلت: أجل، قال: أعاذك الله منهم قال: ولم تهريق عبرتك؟ قال: رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام قال: أتقرأ سورة آل عمران؟ قلت: نعم،

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

قال: إقرأ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ إلى آخر الآية، قلت: هؤلاء كان في قلوبهم زيغ فزيغ بهم، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(١) قال: فقلت: إنهم هؤلاء، قال: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا السواد الأعظم)) فقال رجل إلى جنبي: يا أبا أمامة أما ترى ما يصنع السواد الأعظم؟ قال: عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين، قال: السمع والطاعة خير من المعصية والفرقة، يقضون لنا ثم يقتلوننا، قال: فقلت له: هذا الذي تحدث به شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تقوله عن رأيك قال: إني إذا لجريء أن أحدثكم ولم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين حتى قالها سبعا)) .
وأنكر ربنا عز وجل على من آمن ببعض وكفر ببعض وقال سبحانه: ((أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)) .

والناس أمام النصوص التي ظاهرها التعارض قسمان، قسم جعل هذا المتبادر من التعارض ذريعة للطعن في الدين وهذا والعياذ بالله من شرار الخلق نسأل الله السلامة والعافية .

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٦ .

وقسم نزع بنوع من أنواع الأدلة وترك النوع الآخر، وربما تأوله على غير تأويله وهذه أيضاً ضلالة عن الهدى واتباع للهوى .
 أما أهل الحق فيعملون بجميع الأدلة ويحملونها على محاملها في مواضعها على ما يقتضيه النظر العلمي الشرعي المؤصل كما فعل سلفهم الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان؛ فكانوا هم أسعد الناس بالعمل بالكتاب والسنة .

والواجب على من نظر في نصوص الوحيين أن يحسن نظره فيهما وأن يظن فيهما ما يوافق الحق، وإن توهم التعارض فليكل العلم إلى عالمه ولا يضرب النصوص بعضها ببعض . فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه))
 أخرجه ابن ماجه بسند صحيح . وأخرج أيضاً مثله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ابن خزيمة رحمه الله في كتابه "التوحيد"؛ حين جمع بين عدة نصوص ظاهرها التعارض قال في خاتمة بحثه: ((فمعنى هذه الأخبار لم يخل من أحد هذه المعاني؛ لأنها إذا لم تحمل على بعض هذه المعاني كانت على التهاثر والتكاذب وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قال علي بن أبي طالب: إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنوا به

الذي هو أهناء وأهداه وأتقاه ((^(١) أ.هـ. كلامه رحمه الله .

وإنما يحمل الناس على ذلك اتباع الهوى، والله تعالى يقول:
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٢) .

ونقل ابن جرير عن ابن زيد قال: ((وجدت الهوى ثلاثة
أثلاث، فالمرء يجعل هواه علمه، فيديل هواه على علمه، ويقهر هواه
علمه، حتى إن العلم مع الهوى قبيح ذليل، والعلم ذليل الهوى غالب
قاهر، فالذي قد جعل الهوى والعلم في قلبه، فهذا من أزواج النار،
وإذا كان ممن يريد الله به خيراً استفاق واستنبه، فإذا هو عون للعلم
على الهوى حتى يديل الله العلم على الهوى، فإذا حسنت حال
المؤمن، واستقامت طريقته كان الهوى ذليل، وكان العلم غالباً قاهراً،
فإذا كان ممن يريد الله به خيراً، ختم عمله بإدالة العلم، فتوفاه حين
توفاه، وعلمه هو القاهر، وهو العامل به، وهواه الذليل القبيح، ليس
له في ذلك نصيب ولا فعل، والثالث: الذي قبح الله هواه بعلمه، فلا
يطمع هواه أن يغلب العلم، ولا أن يكون معه نصف ولا نصيب،

(١) كتاب التوحيد، لابن خزيمة [٨٧٨/٢] تحقيق عبدالعزيز بن شهوان . طبعة

مكتبة الرشد بالرياض، عام ١٤١٤ هـ .

(٢) سورة الجاثية، الآية ٢٣ .

فهذا الثالث، وهو خيرهم كلهم^(١).

ومن الأسباب أيضاً: إساءة الظن بالعلماء من جهة وبالولاية
والأمراء من جهة أخرى: فينظرون إلى تصرفات الأمير ويحملونها
على أسوأ المحامل ثم يحكمون عليه بأهوائهم بالبدعة أو الكفر والعياذ
بالله، ويترتب على هذا عندهم جواز الخروج ووجوب إنكار المنكر
بالقوة، وينظرون إلى أن العلماء ساكتون عن المنكر مدهنون
للسلطان فيضللونهم ولا يقبلون كلامهم، فيبقى الشاب بعد ذلك
بلا خطام ولا زمام فلا أمير يسمع له ويطيع ويسير تحت قيادته، ولا
عالم يثق فيه يأخذ من علمه ويقبل توجيهه، فتتلقفه أيدي المفسدين
من أعداء الدين ويستغلونه في تحقيق مآربهم ضد أمة الإسلام باسم
الدين، وهذا الأمر لم يكن في وقتنا هذا وليس هو وليد العصر، بل
حصل منذ عهد الخليفة الراشد ذي النورين أحد المبشرين بالجنة إمام
المسلمين في وقته وأفضلهم في زمانه عثمان بن عفان رضي الله عنه،
فقد عاب عليه سفهاء الأحلام بعض تصرفاته في الحكم واستحلوا
دمه، ولم يقبلوا من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
علماء وقتهم، لم يقبلوا توجيههم ونصحهم، فقتلوا خير البشر في
زمانه رضي الله عنه وأرضاه ووضعوا السيف وكانت بسببهم الفتنة
بين أهل الإسلام، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري [سورة الواقعة، آية رقم ٧] .

والواجب على شباب الأمة وعلى عامتها وخاصتها إحسان
الظن بالمسلمين وبعلمائهم وولاتهم، يقول الله تعالى في حق الأنصار
مع المهاجرين ومن جاء بعدهم من المسلمين: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن
يُوقِ شَحْنَنَفٍ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن
بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾﴾ (١).

وليعلموا أن السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين في غير
معصية الله واجبة لا خيار لمسلم فيها ومن عصى الأمير فقد عصى
الله تعالى، ولا يجوز الخروج عليهم وإن جاروا وإن ظلموا، وأدلة
ذلك مبسطة في كتب الحديث والعقائد فإن السمع والطاعة لولاة
الأمر من المسلمين من عقائد أهل السنة والجماعة التي فارقوا بها أهل
البدعة والضلالة من المعتزلة والخوارج ونحوهم . ومن الأدلة في ذلك
قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (٢).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث لا يغفل عليهن

(١) سورة الحشر، الآيتان ٩، ١٠ .

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩ .

قلب امرئ مسلم، إخلاص العمل لله، وطاعة ولاية الأمر، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)) . أخرجه الترمذي وابن ماجه .

ومن أقوال السلف في هذا قول الفضيل بن عياض رحمه الله: ((لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام؛ لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد)) . قال ابن المبارك: ((يا معلم الخير، من يجترئ على هذا غيرك)) .

وقد سبق أن ذكرنا أثر أبي أمامة رضي الله عنه في الحرورية الخوارج وما قاله فيهم وما أمر أتباعه به من السمع والطاعة وبيان فضل ذلك .

وكذلك علماء السلف يجب احترامهم وتوقيرهم والأخذ عنهم . يقول الطحاوي رحمه الله في أواخر عقيدته: ((وعلماء السلف السابقين، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل)) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((فيجب على المسلمين بعد موالة الله ورسوله موالة المؤمنين كما نطق به القرآن، خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على

هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فعلماؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم: فإنهم خلفاء الرسول في أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا^(١). وهم ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

وليتفطن شبابنا لمخططات أعداء الدين وليسألوا أنفسهم من المستفيد من التفريق بين المسلمين وولاة أمورهم وقادة بلدانهم ؟
من المستفيد من زعزعة أمن البلاد المسلمة ووضع السيف عليهم وإراقة دمائهم ؟

من المستفيد من نزع الثقة من علماء المسلمين وترك العامة يهيمنون لا يدرون من يسألون ولا من يوجههم ويدلهم على الحق ؟
إن من تأمل هذا حقاً علم أن الأمة إنما تصاب مصيبة عظيمة حين تنزع الثقة من ولاة أمرها ومن علمائها وتكون الأمة هائمة يقودها كل ناعق ويزج بها في أودية الهلاك كل مفسد تحت شعارات ورايات الله أعلم بما ورائها .

ومن الأسباب أيضاً: الغلو في الدين: إما في فهمه وإما في

(١) مقدمة كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية، انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية . [٢٣٢، ٢٣١ / ٢٠] .

تطبيقه، والغلو آفة عظيمة مهلكة؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)) . أخرجه الإمام أحمد. يقول محمد بن نصر المروزي رحمه الله: ((وهكذا أهل الأهواء والبدع إنما هم بين أمرين غلو في دين الله وشدة ذهاب فيه حتى يمرقوا منه بمجاوزتهم الحدود التي حدها الله ورسوله، أو إطفاء وجحود به حتى يقصروا عن حدود الله التي حدها ودين الله موضوع فوق التقصير ودون الغلو))^(١) أ. هـ. والله تعالى يقول : ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(٢) وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو وبين عاقبته الوخيمة يقول صلى الله عليه وسلم : ((هلك المنتطعون)) قالها ثلاثاً أخرجه مسلم .

هذا وإن من تعلم دين الله على الحقيقة علم أنه دين السماحة والرفق واللين دين الرحمة والعدل فهو الدين الذي وضع الله به الآصار والأغلال عن العباد ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا

(١) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد نصير المروزي [٦٤٥/٢] .

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٧ .

بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾

وكان من دعاء المؤمنين الذي استجاب الله له: ﴿رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ أَنْتَ
مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾

والأصل في هذا الدين السماحة والرفق ولم يأت بالعنف،
فيجب على المسلم أن يعي هذا ويفهم دينه وفق هذا الأصل العظيم.
يقول الله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٣).
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الدين يسر ولن
يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا
بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)) . أخرجه البخاري .

ويقول صلى الله عليه وسلم: ((إن الله رفيق يحب الرفق
ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما
سواه)) . أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له، ويقول النبي صلى الله
عليه وسلم: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥ .

شيء إلا شأنه)) . أخرجه مسلم .

فالواجب على الشاب المسلم وعلى عموم أهل الإسلام أن يعوا هذا الأصل وأن يطبقوه في حياتهم ويدينوا الله به ويعلموا أن طريق الإصلاح لا يكون بالعنف أبداً فالإسلام ليس دين عنف بل دين الرحمة بالإنسان بل والحيوان. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)) أخرجه أبو داود والترمذي واللفظ له ، وقال : حديث حسن صحيح ، وجاء وصف النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن بالرحمة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ^(١) والله سبحانه رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف .

ومتى تصور المسلمون الإسلام بغير هذا التصور أو طبقوه على خلاف هذا الأصل فإنهم سيحرمون الخير. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من يحرم الرفق يحرم الخير)) . أخرجه مسلم.

والنبي صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٨ .

ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل فينتقم لله بها)) . متفق عليه واللفظ للبخاري .

والغلو في فهم الدين ينتج عنه أمور تجر عواقباً سيئة وخيمة منها الغيرة غير المنضبطة بضابط الشرع، فتجر على صاحبها وعلى مجتمعه بلاء عظيم، لا شك أن المؤمن يجب عليه أن يغضب لله عز وجل ولا يرضى أن تنتهك محارمه، لكن يجب عليه أيضاً أن يكون عمله وإنكاره وفق شرع الله، فإنه إن زاد عن الحد المشروع فقد وقع في منكر ومحرم من حيث يريد الإصلاح، فيجب على المسلم ألا تخرج به غيرته عن الضوابط الشرعية، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((من رأى منكراً منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) . أخرجه مسلم .

فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتغيير ولم يأمر بالإزالة، ولو أمر بالإزالة لكن فيه حرجاً شديداً، والتغيير ينظر فيه إلى قاعدة الشرع العامة وهي النظر في المصالح والمفاسد اجتماعاً وافتراقاً، وأيضاً يجب على من تصدى لتغيير المنكر أن يكون عنده علم بأن هذا منكر وعلم بأسلوب التغيير المناسب بحيث لا يعقبه منكر أشد منه، أو يفوت مصلحة أعظم، وأيضاً يكون رفيقاً حليماً حال إنكاره

صبوراً على ما يصيبه من الأذى ولا ينتقم لنفسه .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه في إنكار المنكر كلاماً جامعاً يحسن إيراده حيث يقول رحمه الله:

((القاعدة العامة: فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاومت فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدالاتها على الأحكام .

وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما بل إما أن يفعلوهما جميعاً أو يتركوهما جميعاً: لم يجوز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر، بل ينظر: فإن كان المعروف أكثر أمر به؛ وإن استلزم ما هو دونه من المنكر. ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل

يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل الحسنات، وإن كان المنكر أغلب نهى عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف؛ ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر وسعياً في معصية الله ورسوله. وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما .

فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهى حيث كان المعروف والمنكر متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة .

وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقاً وينهى عن المنكر مطلقاً، وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويذم مذمومها؛ بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه .

وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية، وإذا تركها كان عاصياً، فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية، وهذا باب واسع ولا حول ولا قوة إلا بالله))^(١) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية [٢٨ / ١٢٩ - ١٣١] .

ثم قال رحمه الله: ((وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا، وكرهته لهذا: موافقة لحب الله وبغضه، وإرادته وكرهته الشرعيين، وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١). فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكرهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان.

وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكرهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته: فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل))^(٢).

وقال رحمه الله تعالى: ((فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستحباً في هذه الأحوال: وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف وروى مرفوعاً؛ ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد:)) لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه))^(٣).

(١) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية [١٣١ / ٢٨].

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية [١٣٧ / ٢٨].

ومما ينتج عن الغلو في فهم الدين ما يثار حول الجهاد في سبيل الله وتصوره على غير وجهه الصحيح، فهناك من استغل حال الأمة وما ابتليت به من الأعداء فرفع شعار الجهاد ليجلب إليه شباب الأمة وليس الجهاد الذي يقصده هو الجهاد في سبيل الله، وذلك يتضح من أمور نص عليها أهل العلم .

أولاً: الأصل في الجهاد أنه فرض كفاية، وأن أمره موكل للإمام واجتهاده ويلزم الرعية طاعته في ذلك .

ثانياً: أنه للإمام أن يؤخر الجهاد لعذر، كأن يكون بالمسلمين ضعف في عددهم أو عتادهم أو غير ذلك من الأعذار، أو يكون في تأخيرهم مصلحة لأهل الإسلام أو رجاء إسلام من يراد جهادهم .

ثالثاً: أن الجهاد لا يتعين، أي لا يكون فرض عين إلا في ثلاثة مواضع نص عليها أهل العلم وهي بإجمال:

١- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان فحينئذ يحرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (١) .

٢- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهل البلد قتالهم ودفعهم .

٣- إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤١ .

إِلَى الْأَرْضِ ۖ ﴿١﴾ الآية. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إذا استنفرتم فانفروا)) متفق عليه .

رابعاً: أن لإمام المسلمين عقد الذمة مع الكفار وله أن يعقد عقد أمان وعهد ولا يجوز لأحد أن يخفر تلك العقود بقتل أو اعتداء على مال أو عرض ومن فعل ذلك فهو آثم مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، وليس هذا الفعل من الجهاد في سبيل الله، بل ولا هو من سبيل المسلمين الذين يخافون الله ويخشون عذابه، وقد حذرنا الله عز وجل من اتباع غير سبيل المؤمنين فقال : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ ﴾ (٢).

والمشاهد أن من تجرأ على هذا العمل فإنه لا بد وأن يصيب المسلمين في أنفسهم وأموالهم .

والنبي صلى الله عليه وسلم قد برئ ممن هذا فعله يقول صلى الله عليه وسلم : ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات فميتته جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبته أو يدعو إلى عصبه أو ينصر عصبه فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى لمؤمنها ولا يفي لذي

(١) سورة التوبة، الآية ٣٨ .

(٢) سورة النساء، الآية ١١٥ .

عهدهما فليس مني ولست منه)) . أخرجه مسلم .

فالأمر خطير، والواجب على المسلم أن يوطن نفسه على معرفة شرع الله بالأدلة والعمل به على بصيرة والأخذ عن العلماء الراسخين فإن هذا هو دأب السلف، قال بعضهم: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم .

ثم إن هناك أسباباً للعقوبات والمصائب التي تحل بالمجتمعات منها :

أولاً: الذنوب والمعاصي: يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ^(١) . ويقول سبحانه: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ^(٢) . ويقول سبحانه: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ ^(٣) .

والنصوص في هذا الباب كثيرة متنوعة وهذا الأصل مقرر عند المسلمين أنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة . يقول الله

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠ .

(٢) سورة الروم، الآية ٤١ .

(٣) سورة فاطر، الآية ٤٥ .

تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١)
ومهما تعاضم الذنب فإن الله يتوب على من تاب ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ
الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^(٢).

وثاني الأسباب العامة: ترك القيام بحقوق الله ونسيان
الآخرة وعدم الاستعداد لها بالعمل الصالح: يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا
فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾^(٣).

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا رأيت الله يعطي
العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج)) .
وقرأ هذه الآية . أخرج الإمام أحمد .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: في ضمن حديث له: ((فوالله
ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما
بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم
كما أهلكتهم)) . متفق عليه.

وثالث الأسباب العامة: الركون إلى الدنيا والرضا بها

(١) سورة النور، الآية ٣١ .

(٢) سورة الزمر، الآية ٥٣ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٤٤ .

والدعة وكثرة الترفه وظهور الفسق :

والمراد بالتurf: الترف الزائد عن الحد، الصارف عن القيام بحقوق الله، الحامل على ظهور الفسق والجهر به .
وقد أخرج أبو داود في سننه عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الإفراه)) .

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُبْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمَرْنَهَا تَدْمِيرًا ۝ ﴾^(١) . ومعنى أمرنا مترفيها أي أكثرنا فسادها، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما .
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ابن حبان في صحيحه وغيره من الأئمة: ((إذا مشت أمتي الميطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض)) والميطاء: مشية فيها اختيال .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا تبايعتم بالعينه وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)) . أخرجه أبو داود .

(١) سورة الإسراء، الآية ١٦ .

والمقصود أن الانغماس في النعيم والترفيه الزائد عن الحد الصارف عن القيام بحقوق الله عز وجل سبب للذل والهلاك، والنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يكونوا أهل دينا وإنما هم من عرف هذه الدنيا وأنها إنما تكون مزرعة للآخرة وليست دار خلود وبقاء، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: ((اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر الحصير بجلده فجعلت أمسحه عنه وأقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه، فقال: مالي وللدنيا، فإنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)) . أخرجه أبو داود الطيالسي بسند صحيح. والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

فالدنيا دار ممر وعبور لا دار قرار وخلود وهي دار الامتحان والابتلاء ودار الآخرة هي دار الجزاء .

هذه جملة من الأسباب العامة لحصول العقوبات والمصائب وإنما نذكرها هنا للتحذير منها، فمن وقع فيها ليقطع عنها ومن لم يقع فيها ليحذر فلا يقربها .

هذا وإن العدل في الأقوال والأعمال والاعتدال في جميع الأحوال سبب لدفع النقم ورفعها وحصول النعم واستجلابها وهو مما أمر الله به وحث عليه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ .

والله سبحانه قد من على أمة الإسلام بأن جعلها أمة وسطاً
أي عدولاً خياراً، يقول الله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢) .

فأمة الإسلام وسط بين الأمم، وسط بين من غلا في الدين
وتشدد فيه فشدد الله عليهم، وبين من تساهل وجفا فضلوا عن سواء
الصراط، وأهل السنة والجماعة وسط بين أهل النحل، كما أن أهل
الإسلام وسط بين أهل الملل .

والوسطية هي: اتباع دين الله والقيام به عقيدة وشريعة، فمن
قام بهذا فهو المتبع لكتاب الله، ومن اتبع كتاب الله حقاً كان على
الطريق الأقوم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٣) .

والوسطية هي دين الله الحق الذي أنزله على رسول صلى الله
عليه وسلم، وقد أمرنا بسؤال الله الهداية إليها، أصل ذلك قوله تعالى
في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾﴾ (٤) .

(١) سورة النحل، الآية ٩٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٩ .

(٤) سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((فأمر سبحانه في " أم الكتاب " التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، والتي أعطيها نبينا صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش، التي لا تجزئ صلاة إلا بها: أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم: كاليهود، ولا الضالين كالنصارى .

وهذا ((الصراط المستقيم)) هو دين الإسلام المحض، وهو ما في كتاب الله تعالى، وهو " السنة والجماعة " فإن السنة المحضة هي دين الإسلام المحض، فإن النبي صلى الله عليه وسلم روي عنه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالإمام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أنه قال: ((ستفترق هذه الأمة على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)) وفي رواية: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) .

وهذه الفرقة الناجية ((أهل السنة)) وهم وسط في النحل، كما أن ملة الإسلام وسط في الملل ((^(١)) .

فأهل السنة والجماعة وسط في جميع أبواب السنة والعقيدة؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية [٣ / ٣٦٩، ٣٧٠] .

الافتتاحية _____ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

وسلم، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
والذين اتبعوهم بإحسان .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((وهكذا أهل
السنة والجماعة في الفرق. فهم في)) باب أسماء الله وآياته
وصفاته))، وسط بين ((أهل التعطيل)) الذين يلحدون في أسماء الله
وآياته، ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه؛ حتى يشبهوه بالعدم
والموات، وبين ((أهل التمثيل)) الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه
بالمخلوقات .

فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه
به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
تكيف وتمثيل .

وهم في ((باب خلقه وأمره)) وسط بين المكذبين بقدرة
الله، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيبته الشاملة وخلقهم لكل
شيء، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا
قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب، فيصيرون
بمنزلة المشركين الذين قالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا
وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) .

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤٨ .

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير، فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ مراده، وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات .

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشئئة وعمل، وأنه مختار، ولا يسمونه مجبوراً؛ إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره، وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

وهم في ((باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد)) وسط بين الوعيدية، الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم. وبين المرجئة الذين يقولون: إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان ويكذبون بالوعد والعقاب بالكلية .

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي صلى الله

عليه وسلم ادخر لأهل الكبائر من أمته .

وهم أيضاً في ((أصحاب رسول الله)) صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وسط بين الغالية الذين يغالون في علي رضي الله عنه، فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما، وأن الصحابة ظلموا وفسقوا، وكفروا الأمة بعدهم كذلك، وربما جعلوه نبياً أو إلهاً، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره، وكفر عثمان ونحوهما، ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته .

وكذلك في سائر ((أبواب السنة)) هم وسط؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان^(١) .

والذي يجب التنبيه له أن الوسطية في الإسلام ليست أمراً مكتسباً، أي أنها لم تترك لأهواء الناس ومقاييسهم وما يراه كل طائفة من الناس أنه هو الوسط، ولو كلفنا بذلك لكان فيه أشد الضيق والعنت إذ كيف يصل المرء إلى الوسطية وكل طائفة من الناس لها من الآراء والأهواء ما يحصل به التعارض بل والتناقض، ومن رحمة الله أن دلنا على طريق الوسطية، فنحن لم نؤمر بوسطية

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية [٣ / ٣٧٣-٣٧٥] .

مطلقة، بل أمرنا باتباع الصراط المستقيم الذي هو شرع الله ودينه، فمن اتبع دين الله الحق الموافق للكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة فهو المتبع للصراط المستقيم الذي أمرنا باتباعه. ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١). ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فمن استقام على الصراط المستقيم الذي أوضحه الله بأجلى بيان وبلغه رسوله صلى الله عليه وسلم أعظم بلاغ من استقام عليه فقد استحق وصف الوسطية ودخل في عموم قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٣).

ومجانبه صراط الله المستقيم والحيدة عن وسطية هذا الدين سبب للضلال والعياذ بالله، والعدول عن الصراط المستقيم يكون بالغلو في الدين أو الجفاء عنه، وكلا الطريقتين من مطايا إبليس ولا يبالى بأيهما ظفر من العبد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((فصل وقد تقدم أن دين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه. والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالى

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٢) سورة الجاثية، الآية ١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

بأيهما ظفر : إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه. وإذا كان الإسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه، قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب إليه؛ حتى أخرجه عن كثير من شرائعه، بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة و أروعها عنه، حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين منه، فثبت عنه في الصحاح وغيرها من رواية أمير المؤمنين ((علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وأبي ذر الغفاري، وسعد ابن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وابن مسعود)) رضي الله عنهم، وغير هؤلاء. أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج فقال: ((يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لمن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد)) . وفي رواية: ((شر قتيل تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه)) وفي رواية: ((لو يعلم الذين يقاتلونهم ما زوى لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل)) .

وهؤلاء لما خرجوا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

— رضي الله عنه — قاتلهم هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتالهم، واتفق على قتالهم جميع أئمة الإسلام .

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الأهواء المضلة والبدع المخالفة ((^(١)) .

وقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم خطورة العدول عن الصراط المستقيم؛ فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ فقال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله فقال: وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾^(٢) . أخرج الإمام أحمد .

هذا ما قصدنا إلى بيانه إبراء للذمة ونصحاً للأمة وإني لأسأل الله العلي العظيم بمنه وكرمه وبعزته وقدرته أن يصلح أحوال المسلمين ويصبرهم في دينهم ويهدي ضالهم ويثبت على الحق مطيعهم ويزيد الجميع هدى وتوفيقاً وبراً، وأن يعز الإسلام وأهله، ويرفع من في رفعة عز للإسلام والمسلمين، ويضع من في ضعته وذله

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية [٣ / ٣٨١-٣٨٣] .

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٥٣ .

وهوانه عز للإسلام والمسلمين، كما أسأله سبحانه أن يحول ذل المسلمين عزاً، وضعفهم قوة، وتفرقهم اجتماعاً على الحق، وأن يرهب بهم أعداء أعداء الدين، وأن يصلح ولاية أمر المسلمين وقادتهم، ويدلهم على الخير، ويوفقهم للحكم بكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يجعلهم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين وأن يجعلهم رحمة على رعاياهم أعواناً على البر والتقوى، كما أسأله سبحانه أن يوفق ولي أمرنا لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا وإياه من المتعاونين على البر والتقوى، ويرزقنا البطانة الصالحة، ويصلح لنا جميعاً العقب والعاقبة إنه سبحانه سميع مجيب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين .

1

.

2

3

.

.

4